

# البعد الديني لمسألة جنوب السودان مع إشارة إلى الفترة (١٩٨٩ – ٢٠٠٥)

عبد مختار موسى<sup>(\*)</sup>

أستاذ مشارك في العلوم السياسية بجامعة أم درمان الإسلامية - السودان.

لم يكن الدين في يوم من الأيام مشكلة في العلاقة بين الجماعات السودانية المختلفة. ففي الواقع السوداني تسود روح التسامح، ولم يشكّل الدين عقبة في طريق التعايش السلمي إلا بعد أن تدخلت السياسة. لذلك ينطلق هذا البحث من فرضية أن عملية تسييس الدين هي المسؤولة عن تفاقم التوترات بين الشمال والجنوب، وأن النخبة هي المسؤولة - في التحليل النهائي - عن ذلك.

يركّز المقال بصفة خاصة على فترة الحرب بين حكومة الإنقاذ الوطني (التي جاءت بانقلاب عسكري في حزيران/يونيو ١٩٨٩) وحركة التمرد (الجيش الشعبي لتحرير السودان)، وذلك حتى توقيع اتفاقية السلام في كانون الثاني/يناير ٢٠٠٥.

يعني تناول البعد الديني لمشكلة جنوب السودان ضمناً دراسة الوجود المسيحي في السودان، لأن المسيحية هي الأكثر انتشاراً بين قبائل هذه المنطقة في أفريقيا بعد أن كانت هذه القبائل وثنية. صحيح أن الإسلام بدأ ينتشر لاحقاً في الجنوب، غير أن انتشاره ظلّ محدوداً لأسباب عدة، كان أهمها الاستعمار البريطاني.

## أولاً: الوجود المسيحي في السودان

بدأ اهتمام الإرساليات المسيحية بجنوب السودان في فترة الحكم التركي - المصري للسودان، حيث كان التبشير المسيحي يتطلع إلى نشر المسيحية، ليس في السودان فحسب، بل من خلاله إلى مختلف أجزاء القارة الأفريقية. لقد كان في نظرهم أن السودان مهم في هذه العملية بسبب موقعه في الطرق إلى غرب وشرق أفريقيا. كانت الجمعيات التبشيرية ترى السودان كبوابة للدخول إلى مملكة إثيوبيا المسيحية، حيث كانت تخطط للسيطرة على الكنيسة القبطية هناك<sup>(١)</sup>.

abdumukhtar50@hotmail.com.

(\*) البريد الإلكتروني:

Mohammad Omer Beshir, *The Southern Sudan: Background to Conflict*, 2<sup>nd</sup> ed. (Khartoum: (1) Khartoum University Press, 1970), p. 23.

أما بالنسبة إلى الحكم الثنائي البريطاني - المصري، فقد كان واضحاً منذ البداية دعم الإدارة البريطانية لنشر الدين المسيحي، حيث رُحِّبَت بالبعثات التبشيرية المسيحية والإرساليات وشجعت عملياتها في الجنوب. غير أن الإدارة البريطانية حاولت أن تخفي هذا الدور بالزعم أن الجمعيات التبشيرية المسيحية في بريطانيا هي التي تقدمت بطلب إلى السلطات البريطانية للسماح لها بالعمل في كل أنحاء السودان - الشمال والجنوب<sup>(٢)</sup>، بل إن الباحثين الغربيين، وكذلك النخبة الجنوبية يقولون إن الوجود المسيحي في السودان الشمالي سابق للإسلام، حيث دخلت المسيحية في القرن السادس الميلادي. وعندما ظهرت بعض الأصوات وسط بعض الإداريين البريطانيين تنادي بإبعاد المسيحية من السودان، ردَّ البعض الآخر بقوة بأن المسيحية في جنوب السودان هي الأصل، كما أن السودان بموقعه الجغرافي يشكّل حلقة ربط قوية لنشر المسيحية في أفريقيا من رأس الرجاء الصالح حتى القاهرة<sup>(٣)</sup>، بل ذهب بعضهم إلى نقد الإدارة البريطانية، وطالبوا بأن تكون محايدة في الشأن الديني، كما هو حال السياسة البريطانية في مستعمراتها الأخرى. ويرون أن بريطانيا بذلك تخون غوردون الذي فقد حياته من أجل المسيحية ومقاومة الرق<sup>(٤)</sup>.

كذلك كان في حجتهم أن الإسلام غير مناسب لتطور ورفاهية الشعب، بينما المسيحية هي أهل لذلك، وأنها قادرة على تأسيس المدارس ونشر التعليم<sup>(٥)</sup>. من خلال المدخل الديني عمل البريطانيون على غرس فكرة أنه دون المسيحية لا يمكن تحقيق التقدم.

كانت الاستجابة فورية من الحكومة البريطانية لنداء البعثات المسيحية. ففي شباط/ فبراير ١٨٩٩ أجاز البرلمان البريطاني قراراً يلزم إنكلترا المسيحية بواجب «نشر المسيحية في السودان ودعم النشاط التبشيري»<sup>(٦)</sup>. وأرسلت الحكومة البريطانية مذكرة توبيخ إلى الإدارة البريطانية في السودان بأنها تعمل ضد الحريات الدينية السائدة في بلد تحكمه المبادئ المسيحية<sup>(٧)</sup>.

شكّل هذا الموقف البريطاني الرسمي تشجيعاً كبيراً ودعمًا للبعثات التبشيرية لتعمل بحرية وبنشاط كثيف لنشر المسيحية في الجنوب، بل تعزّز هذا المناخ الداعم للحملات التبشيرية بموقف مشترك بين الجمعيات التبشيرية والحكومة البريطانية، حيث «اتفق

Robert O. Collins, *The Southern Sudan 1883-1898: Struggle for Control*, Yale Historical Publications, (٢) Miscellany; 76 (New Haven, CT: Yale University Press, 1962), p. 13.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٤) فرانسيس دينج، *صراع الرؤى: نزاع الهويات في السودان*، ترجمة عوض حسن (القاهرة: الخرطوم: مركز الدراسات السودانية، ١٩٩٩)، ص ٨٤.

Beshir, *The Southern Sudan: Background to Conflict*, p. 23. (٥)

J. Spencer Trimingham, *The Christian Approach to Islam in the Sudan* (London; New York: Oxford University Press, 1948), p. 20, and «Letter from Wingate to L. H. Gwynne,» (4 April 1907), in: Beshir, *Ibid.*, p. 25.

Trimingham, *Ibid.*, p. 23. (٧)

الجانبان على ضرورة إبعاد النفوذ الإسلامي من جنوب السودان بأسرع ما يمكن»<sup>(٨)</sup>.

تنفيذاً لذلك، تم تقسيم جنوب السودان إلى مناطق عمل للحملات التبشيرية بين البعثات المسيحية الأوروبية الكاثوليكية المختلفة، البريطانية والإيطالية والنمساوية وغيرها. وتنافست في ما بينها في تقديم الخدمات ونشر التعليم لتحظى بأكبر عدد من الجنوبيين في مظللتها. كما تمتعت بامتيازات كثيرة من بينها تخفيض ٥٠ بالمئة من قيمة تذاكر الركاب للعاملين في الجمعيات التبشيرية، وكذلك ٢٠ بالمئة من قيمة ترحيل أغراضهم وأمتعتهم على سكك الحديد والبواخر النيلية.

غير أن الأخطر في هذا المشروع البريطاني لزراعة المسيحية في الجنوب وإبعاد الإسلام هو حملات التشويه التي انطلقت من مقولات خاطئة تدّعي أن الإسلام خطر، حيث يستند (أي الإسلام) إلى معرفة عميقة بالمجتمع السوداني وينتشر ببطء، لكن بقوة، مهدداً الطريق لحملات دموية محمّدية، ليكتسح كل القارة الأفريقية مهدداً أية مواقع للمسيحية، وأن خطر الإسلام بالانتشار يكمن في أنه دين يتسم بالانحلال الأخلاقي (Loose Morality)، وتعدّد الزوجات (Polygamy)، وسهولة وبساطة الطلاق، وفوق ذلك إباحته للنهب، وبالتالي يجد طريقه إلى مشاعر السود، كما هو الحال في إغرائه لكل الشعوب غير المتحضّرة. هذا بلا شك منتهى الاستخفاف بالإسلام، وسوء فهم متعمد وتشويه مقصود. وبإمكاناتهم الكبيرة استطاع البريطانيون، ليس نشر المسيحية فحسب، بل وتأليب الجنوبيين ضد الإسلام وضد الشماليين المسلمين. وهكذا تحول الجنوب إلى ساحة حرب ضد العرب والإسلام والسودانيين الشماليين.

لذلك كان من الطبيعي أن يكون رد الفعل عنيفاً على هذا التشويه والتعسف ضد المسلمين، خاصة في ظل الحكومات الوطنية. ففي عام ١٩٦١ منعت حكومة عبود أية صلوات مسيحية خارج مباني الكنيسة. وفي ٢٧ شباط/فبراير ١٩٦٢ أعلنت وزارة الداخلية طرد كل البعثات التبشيرية من جنوب السودان، وكان عددها آنذاك ٦١٧ جمعية (أو بعثة) مسيحية تعمل في السودان، والأغلبية كاثوليكية. وقد برر وزير الداخلية الإجراء بأن نشاط هذه البعثات التبشيرية يهدد وحدة السودان<sup>(٩)</sup>.

ألقت هذه الإجراءات بظلالها على العلاقات الشمالية - الجنوبية. وقد وصل الأمر إلى قمته بإعلان جبهة الميثاق الإسلامي تطبيق الدستور الإسلامي، مما زاد من مخاوف الجنوبيين بأن الشماليين يسعون إلى أسلمة الجنوب. كما تعزّزت هذه الكراهية بعد أحداث أخرى عدة، مثل أحداث جوبا في ٨ تموز/يوليو ١٩٦٥، وواو في ١١ آب/أغسطس ١٩٦٥، عندما فقد عدد من الجنوبيين أرواحهم نتيجة عمليات قام بها الجيش والشرطة ضد المتمردين والمتعاطفين معهم. وعلى الرغم من عدم توافر أية تفاصيل دقيقة عمّا حدث، إلا

(٨) Lilian Passmore Sanderson and Neville Sanderson, *Education, Religion, and Politics in Southern Sudan, 1899-1964* (London: Ithaca Press, 1981), in: Beshir, Ibid., p. 17.

(٩) «Cromer to Salisbury,» (22 February 1900), in: Ibid. p. 18.

أن من المؤكد أنها تركت الكثير من مشاعر المرارة في وجدان الشعب الجنوبي. فكان ردّ الفعل أن زاد متمردو «الأنايا» من غاراتهم على الشماليين أينما وُجدوا في الجنوب، بينما توحدت الأحزاب الجنوبية الرئيسية في المنفى - بعد بطش حكومة عبود بها - خاصة الجبهة الأفريقية لتحرير السودان (SALF)، وحزب الاتحاد الوطني السوداني الأفريقي (سانو SANU)، اللذين توحدوا خارج السودان، وشكلا «جبهة تحرير أزانيا» بهدف تأسيس دولة أفريقية حرة ومستقلة في جنوب السودان<sup>(١٠)</sup>. هذا البعد والتأثير الديني في مشكلة الجنوب زاد بعد إعلان الرئيس الأسبق المشير جعفر محمد النميري تطبيق الشريعة الإسلامية في عام ١٩٨٣.

منذ أن جاءت حكومة أيار/مايو (بقيادة العقيد جعفر محمد النميري) بأطروحتها الشيوعية (أيار/مايو ١٩٦٩)، سعت إلى دمج الشمال والجنوب في مشروعها الداعي إلى الاشتراكية، على الرغم من أنها أعلنت في ٩ حزيران/يونيو ١٩٦٩ اعترافها بالفوارق التاريخية والثقافية بين الشمال والجنوب، وأنها هدفت إلى تحقيق وحدة انطلاقاً من هذه الحقائق الموضوعية: «إن من حق شعبنا في الجنوب أن يبنى ويطور ثقافته وتقاليدته في نطاق السودان اشتراكي موحد»<sup>(١١)</sup>.

انطلاقاً من ذلك التوجّه، أوكلت حكومة أيار/مايو وزارة شؤون الجنوب إلى القطب الشيوعي الجنوبي جوزيف غارنغ، الذي قام بإنشاء عدة مراكز في مدن الجنوب لتدريس الشباب في عدد من الدول الشيوعية، لإعداد مؤهلين ينفذون الحل الاشتراكي المرتقب في الجنوب. وقد علق واحد من النخب الجنوبية، وهو بونا ملوال، على تلك السياسات بأنها «تنتقل من افتراض أن الجنوب لم يتشكّل بعد، وليس فيه ما يمنع من الانتقال من عصر ما قبل الرأسمالية إلى الشيوعية»<sup>(١٢)</sup>.

غير أن تلك السياسات لم تحقق أي تغيير كبير في الجنوب، وبقي الدين المسيحي يشكل عنصراً مهماً في الأيديولوجيا الجنوبية، كما اتضح ذلك لاحقاً في أطروحات الحركة الشعبية لتحرير السودان (SPLA) في تعاملها مع نظام الإنقاذ الإسلامي<sup>(١٣)</sup>.

في عام ١٩٨٤ أُقيمت صلاة في كنيسة «كتور» في جوبا اشتركت فيها كل الفئات الكنسية هناك تحت ستار «السلام والغذاء»، بينما كان مغزى تلك الصلاة سياسياً، إذ صاحبها وضع ملصقات وشعارات تنادي برفض الإسلام والتعريب في الجنوب. وهو التوجه ذاته التي تبنته الحركة الشعبية في مفاوضاتها مع الحكومة، خاصة في ما عُرف بإعلان المبادئ (DOP)،

(١٠) Richard L. Hill, «Government and Christian Missions in the Anglo-Egyptian Sudan, 1899-1914», *Middle Eastern Studies*, vol. 1, no. 2 (January 1965), p. 283.

Sanderson and Sanderson, *Ibid.*, p. 30. (١١)

(١٢) المصدر نفسه، ص ٣٠.

Trimingham, *The Christian Approach to Islam in the Sudan*, pp. 26-29, and W. Wilson Cash, *The Changing Sudan* (London: Church Missionary Society, 1930), p. 29. (١٣)

الذي تضمن علاقة الدين بالدولة، حيث دعت الحركة الشعبية إلى قيام نظام علماني في السودان، وهي النقطة التي كانت الأكثر جدلية في المفاوضات بين الطرفين طيلة التسعينيات من القرن العشرين، وحتى مشاكوس ونيفاشا (كينيا) بين عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٥، حينما قدمت الحكومة الكثير من التنازلات، وتم توقيع السلام بين الطرفين.

كان العامل الديني في علاقة الشمال بالجنوب في فترة حكومة الإنقاذ – التي أعلنت تطبيق الشريعة عام ١٩٩١ – أكثر وضوحاً من فترة حكومة النميري (أيار/ مايو)، حيث أعلنت الإنقاذ الجهاد ضد المتمردين الجنوبيين، فدخلت العلاقات الشمالية – الجنوبية مرحلة جديدة من الأزمة والتعقيد والتدويل.

## ثانياً: تسييس الدين

على المستوى الشعبي يتسم السودانيون – على مختلف أديانهم – بميل فطري نحو التعايش السلمي. كما تتوافر حرية ممارسة الشعائر الدينية لمختلف الأديان. وليس هناك تضيق من جانب السلطات على المواطنين في هذا المجال. وقد شددت كل الدساتير والقوانين السودانية على حرية الاعتقاد وحرية التدين والتعبّد. واستفاد – ويستفيد – المسيحيون من هذه الحرية أكثر من المسلمين، حيث تنشط الحركات التبشيرية المسيحية في الجنوب، بل وفي مختلف أنحاء السودان، بما في ذلك العاصمة الخرطوم، من خلال ما تقدمه إلى المواطنين من خدمات في مجالات الصحة والتعليم وفرص العمل وغيرها، لاستمالة المزيد من السودانيون إلى الدين المسيحي، بينما لا تنشط الدعوة الإسلامية بالكثافة ذاتها. وينحصر معظم جهد الدعوة الإسلامية في توعية المواطنين المسلمين أصلاً أكثر من سعيها إلى استقطاب مواطنين لاعتناق الإسلام. وعلى الرغم من ذلك، يشهد الكثير من المساجد بعض حالات إشهار الإسلام من مواطنين جنوبيين (مسيحيين)، لكن لا توجد إحصائية دقيقة في هذا المجال.

غير أن هناك بعض التصرفات من حكومة الشمال قد أسهمت بطريقة أو بأخرى في تسييس الدين. فمثلاً لم تكتف حكومة الفريق إبراهيم عبود (١٩٥٨ – ١٩٦٤) بقمع المعارضة السياسية (اعتقال سياسيين ونقابيين وطلبة شيوعيين)، بل أيضاً قامت بالفعل ذاته في الجنوب. وبالإضافة إلى ذلك، عملت الحكومة على تسريع عملية الأسلمة والتعريب في الجنوب لاعتقادها أن ذلك هو الطريق الوحيد لتحقيق الوحدة بين الشمال والجنوب. غير أن عملية الأسلمة والتعريب كانت تثير حفيظة الجنوبيين الذين لا يدين أغلبهم بالإسلام<sup>(١٤)</sup>.

فقد كان واضحاً أن الإجراءات التي اتخذها نظام عبود في الفترة (١٩٦٢ – ١٩٦٤) في بعدها المدني (طرد القساوسة وعمليات التعريب والأسلمة)، وفي بعدها العسكري

*Annual Report of the Church Missionary Society* (London: [s. n.], 1901-192), pp. 150-151, in: Beshir, (١٤) *The Southern Sudan: Background to Conflict*, p. 26.

(الهجوم على القرى وحرق المواطنين)، قد صعد من حدة القضية لتصبح صراعاً بين العرب والأفارقة، والمسلمين والمسيحيين، ودفعت درجة المطالبة الجنوبية بالفدرالية، وأخرجت الأزمة من إطارها المحلي إلى نطاق دولي<sup>(١٥)</sup>.

كان لهذه الإجراءات إسقاطات سالبة في الجنوب. ففي عام ١٩٦٢ حدثت اضطرابات طلابية في رمبيك (في الجنوب)، وبلغ الأمر حدّ العنف والعنف المضاد. ولعب القساوسة دوراً كبيراً في تأجيج الصراع. وكان التحريض على التظاهر وأعمال العنف يتم من داخل الكنائس. واتبعت حركة التمرد حرب العصابات التي تسترت بالقرى. وأدت الإجراءات العقابية التي يتخذها الجيش إلى فرار الآلاف من أبناء الجنوب إلى خارج السودان، خاصة أوغندا، وكينيا، وإثيوبيا، وأفريقيا الوسطى، وتنزانيا. كان من ضمن هذه الشخصيات المهاجرة أعداد كثيرة من السياسيين وأعضاء البرلمان، فأسسوا عدة تنظيمات، منها رابطة المسيحيين السودانيين، الأمر الذي أضفى على المشكلة بعداً دينياً<sup>(١٦)</sup>.

على المستوى النظري، تحاول الحركة الشعبية لتحرير السودان (SPLM) إبعاد الدين عن السياسة وتجريد الدولة من أي تأثير ديني. فهي تنادي في أطروحاتها الأساسية بسودان علماني:

Bearing in mind that on account of its religious diversity, the unity of the Sudan is unsustainable unless religion is excluded from the realm of politics and a strictly secular state is established, in which religion and the state are constitutionally separate<sup>(١٧)</sup>.

ودعت الحركة إلى إلغاء القوانين الإسلامية، وإرجاع النظام القضائي الذي كان سائداً قبل أيلول/سبتمبر ١٩٨٣. لكن في الواقع عندما جاءت ثورة الإنقاذ ولجأت إلى تجييش الشعب (في الشمال) بتحريك الوجدان الديني ضد التمرد، لجأ التمرد إلى الدين، وصوّر الحرب بأنها بين الشمال العربي المسلم والجنوب الأفريقي المسيحي، واستدرّ عطف الرأي العام العالمي والدعم الدولي من هذا المدخل.

إن استخدام جون غارنغ لعنصر الدين في الصراع استدعته أسباب استراتيجية، وهذا دفع بحكومة الإنقاذ الوطني إلى أن تعلن الجهاد لتحريك هذه النزعة الضرورية للتعبيّة لمواجهة خصم ترى الحكومة أنه مدعوم من الغرب المسيحي، عسكرياً وسياسياً ودبلوماسياً وإعلامياً. لقد عمل غارنغ على تسويق مقولة إن الحرب هي صراع بين الإسلام (الأغلبية العرب) والمسيحية (الأقلية الأفريقية). وقد أثر هذا الطرح في نظرة الغرب إلى الصراع في

(١٥) «Letter from Wingate of Governor of Bahr al Ghazal,» (3 February 1904), in: Beshir, Ibid., p. 26.

(١٦) Beshir Mohammed Said, *The Sudan: Crossroads to Africa*, Introduction by Colin Legum (London: Bodley Head, 1965), p. 172.

(١٧) الأحرار، ١٠/٦/١٩٦٩، في: عبد اللطيف محمد البوني، *البعد الديني لحرب الجنوب* (الخرطوم: مركز الدراسات الدبلوماسية، ١٩٩٦)، ص ٥٢.

السودان، لأن الغرب المسيحي مهياً أصلاً لقبول أي حديث سلبي عن الإسلام<sup>(١٨)</sup>.

كانت نتيجة هذا التأثير أن نظمت واستضافت الولايات المتحدة الأمريكية عدة ملتقيات ومؤتمرات وندوات في هذا السياق. من أمثلة هذه المؤتمرات كان مؤتمر «الدين والقومية والسلام في السودان» (١٦ - ١٧ أيلول/سبتمبر ١٩٩٧) (Religion, Nationalism and Peace in Sudan)، وقد ذهب بعض الأوراق في الحديث عن هويات مختلفة في السودان أساسها الدين. في ورقته حول «الهويات المسيحية والكيانات العرقية في السودان»، ذهب مارك نيكل (Marc Nikel) إلى أن الكنيسة في السودان تنمو بسرعة كبيرة جداً مقارنة بكل الدول الأفريقية، وأن اعتناق المسيحية في تزايد مستمر، وأن السبب وراء ذلك هو البطش الذي تمارسه الجبهة الإسلامية القومية الحاكمة في السودان. وأشار كاتب الورقة إلى أن التبشير المسيحي في فترة الحكم الثنائي في السودان - ومن خلال نشره للتعليم النظامي واللغة الإنكليزية والعقيدة المسيحية - استطاع أن ينمّي وعياً وتضامناً وسط شعب جنوبي متنوع اللغة والثقافة، وأن المسيحية شكلت رافداً أساسياً لخلق هوية جنوبية موحدة مركزها الدين المسيحي، خاصة وسط الجنوبيين سكان المدن المتعلمين. وبعد الاستقلال حاولت الحكومات الوطنية في الخرطوم أسلمة الأمة، وبذلك زادت كثافة حركة الاستقطاب بين الهويات الدينية، وزاد تعلق الجنوبيين بالمسيحية من إحساسهم بأن المسيحية تدعم قضيتهم، وأنها تشكل منبراً دينياً<sup>(١٩)</sup>.

ظلت الحكومة السودانية، وباستمرار، تنفي وجود اضطهاد ديني للمسيحيين. ويشير المسؤولون إلى عدة وقائع وحقائق لتعزيز مقولاتها، ومن أمثلة ذلك<sup>(٢٠)</sup>:

– تطبيق الحكم الفدرالي استثنى الولايات الجنوبية من الشريعة الإسلامية.

– تنظيم الحكومة مؤتمر حوار الأديان في الخرطوم في ٢٦ - ٣٠ نيسان/أبريل ١٩٩٣، وملتقى جوبا للسلام في ١٤ - ١٦ أيار/مايو ١٩٩٤. كما تم تنظيم مؤتمر آخر في ملكال (جنوب السودان) في ٢٧ - ٢٨ تموز/يوليو ١٩٩٤، ثم في مدينة واو، ثم عقد مؤتمر الحوار بين الأديان في الخرطوم في ٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٤، الذي شارك فيه المجلس البابوي لحوار الأديان في الفاتيكان، ومجلس الكنائس العالمي، ومجلس كنائس الشرق الأوسط، ومركز الكنائس الأفريقي. ثم تُوّج ذلك بقيام المجلس الاستشاري الإسلامي/ المسيحي لوزير الإرشاد والأوقاف في ٨ أيار/مايو ٢٠٠٦ في بلد فيه ١٤ ألف مسجد و٤٠٠ كنيسة. وأخيراً، زار الرئيس السوداني الفاتيكان وإيطاليا في تموز/يوليو

(١٨) أنتوني سلفستر، السودان في عهد النميري، ترجمة مبارك الريح (الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٧٧)، ص ٢٣٩.

(١٩) «A (١٩) Sudan People's Liberation Army (SPLA) and Sudan People's Liberation Movement (SPLM), «Position on State and Religion», Nairobi (Kenya) (5 May 1998).

(٢٠) سوداناو (Sudanow) (شباط/ فبراير ١٩٩٣)، كذلك انظر: التقرير الاستراتيجي السوداني السنوي ١٩٩٨ (الخرطوم: مركز الدراسات الاستراتيجية، ١٩٩٨)، ص ٥١-٦٦.

٢٠٠٧، والتقى بالبابا، وهي محاولة لتعزيز التعايش الديني الإسلامي – المسيحي.

– على المستوى الرسمي، هناك اعتراف بالدين المسيحي كأحد الأديان الرئيسية في السودان، وهناك مناهج وحصص في المدارس وامتحانات خاصة للطلبة المسيحيين الذين يدرسون في مدارس الشمال. كذلك تنتشر الكنائس في كل أنحاء السودان، ويمارس المسيحيون – سواء كانوا جنوبيين أو أقباطاً – شعائرهم وطقوسهم الدينية دون مضايقة أو تدخل من السلطات.

– مشاركة قيادات الحكومة في أعياد المسيحيين، ويشارك المسيحيون في مناسبات المسلمين، حيث دأبت الكنيسة على تنظيم إفطار شهر رمضان للمسؤولين كرمز للمشاركة، وكذلك يشارك المسلمون إخوانهم المسيحيين في أعيادهم بالتوقف عن العمل في عطلة رسمية خاصة بالأعياد المسيحية.

– زيارة قداسة البابا الراحل يوحنا بولس الثاني السودان في ١٠ شباط/فبراير ١٩٩٣ – حيث كان في جولة أفريقية – وهي الأولى من نوعها، وتعتبر زيارته دعامة للتواصل والحوار بين الأديان؛ ولم يجد شكوى من المسيحيين بوجود اضطهاد ديني.

– زيارة وفد من الكونغرس الأمريكي السودان في منتصف أيلول/سبتمبر ١٩٩٦ للتحقق من ممارسة السودان للرق وانتهاكه لحقوق الإنسان. كان الوفد بقيادة عضو الكونغرس الأسبق عن ولاية كارولينا الجنوبية جيمس مان، وضم عدداً من أعضاء الكونغرس، واثنين يمثلان معهد شيلر (Shiller). كانت مهمة اللجنة التحقيق في عدد من الأسئلة، مثل: هل حكومة الخرطوم متطرفة؟ هل يعاني المسيحيون تمييزاً دينياً ضدهم في الوظائف العامة؟ هل الحرب في الجنوب هي تطهير عرقي؟

التقى الوفد شخصيات مسيحية ومسلمة وممثلين لقطاعات اقتصادية وصحافية وقيادات البرلمان السوداني (رئيس البرلمان ونائبه ورؤساء اللجان). مكث الوفد في السودان عشرة أيام، ووجد حرية تامة في الحركة والسفر إلى كل منطقة طلب زيارتها. زار الوفد الكنائس وتحدث إلى المسيحيين مباشرة في الكنائس، وأكدوا أنهم لم يجدوا شخصاً مسيحياً يشكو من إعاقة السلطات له في ممارسة شعائره الدينية<sup>(٢١)</sup>.

من ناحية الوظائف العامة والعليا في الدولة، وجد الوفد أن نائب رئيس الجمهورية، وبنص القانون، يجب أن يكون من الجنوب (جنوبي). وقال أعضاء الوفد إن أكثر شخص جسد لهم سمو العلاقة بين الأديان هو الأسقف غابريال روريغ، أسقف الكنيسة الأسقفية (Episcopal)، وكان (آنذاك) وزير الدولة للشؤون الخارجية. قال الوزير الأسقف للوفد: «ليس لدينا مشكلات دينية في السودان. المشكلات الموجودة هي من إفرازات الاستعمار». وحول ما إذا كانت حرب الجنوب تنطوي على تطهير عرقي، التقى الوفد بنائب رئيس

(٢١) Marc Nickel, «God Has Not Forgotten Us: Christian Identities and Ethnic Survival in Sudan.» paper presented at: «Religion, Nationalism and Peace in Sudan.» Organized by the United States Institute of Peace on the 16<sup>th</sup> and 17<sup>th</sup> September 1997, p. 4.



المجلس الوطني (البرلمان السوداني) الذي أكد لهم أنه ليس هناك تطهير عرقي مقصود ومنظم، بل كأي حرب قد تحدث بعض الفظائع والانتهاكات من الجانبين.

## ثالثاً: الدين والهوية

تناول بعض الباحثين الوجود المسيحي المعاصر في جنوب السودان من خلال المجموعات المختلفة التي اعتنقت المسيحية:

١ - **كاكوا وكوكو** في منطقة يي وكاجوكاجي: (The Kakwa and Kuku of Yei and Kajo-Keji): تقع هذه المنطقة جنوب غربي مدينة جوبا. دخلت فيها المسيحية منذ ثلاثينيات القرن العشرين. الآن تنتشر فيها الكنيسة على نطاق واسع. لكن المنطقة تعرّضت لنزوح بفعل الحرب، حيث لجأ ٥٠ بالمئة من سكانها إلى شمال أوغندا التي أصبحت تشكّل أرض المنفى لهم، وقد أعادوا تفسير قضية المنفى في الإنجيل لتعبّر عن حالهم وواقعهم<sup>(٢٢)</sup>. وبعد عام ١٩٩٧، عندما وقعت منطقتهم في يد الجيش الشعبي لتحرير السودان، عاد منهم ٨٠,٠٠٠، وكانوا يرون أن ذلك نصر لناس مؤمنين (Faithful People) عادوا بالعبادة الإلهية.

٢ - **الأزاندي والباكا** في طمبرة ويامبيو ومريدي: شهدت هذه المنطقة حركة نزوح كبيرة للسكان في أفريقيا الوسطى وزائير. وقد سيطر جيش الحركة الشعبية لتحرير السودان على معظم هذا الإقليم. وصنّف زعماء الكنيسة الإقليم شمالي يامبيو وحتى طمبرة بأنه «منطقة تبشيرية». يبدو أن الأزاندي أكثر القبائل تأثراً بالحرب، حيث «نتج من الحرب عدم الاستقرار والتمزّق الاجتماعي، وتأثرت الثقافة والأخلاق والقيم، في وقت لم تتبلور الهوية المسيحية للأزاندي بصورة كاملة. لكن الكنيسة تصدّت لعملية حماية القيم والثقافة التقليدية، وتمّ جمع التراث ورعاية الأدب الشفاهي وفنون التداوي المحلي»<sup>(٢٣)</sup>.

٣ - **المفولو والولو** (Mvolo and Wulu) في جور: يُعتبر سكان هذه المنطقة منذ الحكم الثنائي من أكثر السكان تعرضاً للتهميش في جنوب السودان. وفي الثمانينيات والتسعينيات عانوا تسلط الحكومة السودانية وجيش الحركة الشعبية على حد سواء. فهم أكثر السكان تخلصاً في الرعاية الصحية والتعليم، وليس لهم ما يفقدونه في الصراع، بل كان هدفهم الرئيسي هو البقاء. وحتى الثمانينيات، لم تكن هناك كنيسة في منطقة جور (Jur)، لكن فجأة انتشر المدّ الكنسي، وأحدث تحولاً كبيراً في الحياة الاجتماعية والقيم. ففي تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٥، أعلن القس ريوين ماكير (Rewben Machair) أن الذين اعتنقوا المسيحية في المنطقة ١٦,٠٠٠ فرد<sup>(٢٤)</sup>.

٤ - **المورو في مندرري**: على الرغم من قلة عدد هذه المجموعة الزراعية، إلا أنها منذ

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٥.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٥.

Sharon E. Hutchinson, *Nuer Dilemmas: Coping With Money, War, and the State* (California: University of California Press, 1996). (٢٤)

عشرينيات القرن العشرين ظهرت على أنها الأكثر اعتناقاً للمسيحية، وتكيّف السكان بسرعة مع التعميم النظامي، وأصبحت لهم نخبة متعلمة كبيرة العدد نسبياً. وقد كان منهم أسقف الكنيسة في وقت سابق. وعندما تأثروا بالحرب، شكّلت الكنيسة ملاذاً مركزياً للمجتمع الريفي.

**٥ - النوير والأنواك في أعالي النيل:** يرى الباحثون في حالة المسيحية في جنوب السودان أن القبائل النيلية في السودان شهدت أكبر انتشار دراماتيكي للكنيسة. وتؤكد تقارير أن نهاية عقد الثمانينيات من القرن العشرين شهدت توسعاً كنسياً غير مسبوق وسط قبائل النوير والأنواك والشلك والجيج<sup>(٢٥)</sup>. وقد نزح كل زعماء الكنيسة المشيخية إلى إثيوبيا في الفترة من عام ١٩٨٦ إلى عام ١٩٩١ مع أنصارهم ليعيشوا في المنفى. وقد تحوّلت قري بأكملها إلى المسيحية في تلك المنطقة بعد تلك الفترة، وبلغ عدد البروتستانت ١٥٠٠، وقد أنشئت عشر أبرشيات في شرق وغرب أعالي النيل. وبلغ عدد التجمّعات والطوائف المسيحية ما بين ٦٠ إلى ١٠٠، وبينما كان عددها أقل من ١٠٠ عام ١٩٨٣، فقد بلغ ٨٠٠ في التسعينيات. ويرى الأنثروبولوجيون أن هذا التحول يشكّل ظاهرة تستحق الدراسة من حيث الدوافع والأسباب<sup>(٢٦)</sup>.

**٦ - جبال النوبة تحت سلطة جيش حركة تحرير السودان:** على الرغم من أن منطقة جبال النوبة، من ناحية جغرافية لا تقع في جنوب السودان، بل تتبع إدارياً ولاية جنوب كردفان، إلا أن هوية سكان المنطقة (النوبة) – ذوو الملامح الزنجية، وديانتهم المسيحية، ولغتهم غير العربية – دفعت بالحركة الشعبية لتحرير السودان إلى استقطابهم إليها. وقد امتدت الحرب الأهلية إلى هذه المنطقة المتخلفة أصلاً، حيث كانت أطروحة الحركة تركّز على أنها من المناطق المهمّشة، إضافة إلى وضع منطقة الأنقسنا في النيل الأزرق (إلى الجنوب الشرقي من وسط السودان) التي تركز بالمبّرّات ذاتها على بُعد الهوية ومنطق التهميش. ترى حركة تحرير الشعب السوداني أن منطقة النوبة إقليم معزول، وتعتقد أنه «تعرض لأبشع عمليات انتهاك حقوق الإنسان من جانب الحكومة السودانية في محاولة منها لاجتثاث الهوية النوبية»<sup>(٢٧)</sup>. وقد سيطرت الحركة في فترة من الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين على مناطق كثيرة في جبال النوبة، خاصة المنطقة التي تقع إلى الجنوب والشرق من طريق كادقلي – هيبان. وتقول الحركة إن سكان المنطقة تعرّضوا لاضطهاد مستمر، وقد وحّد هذا الاضطهاد بين النوبة، مسلمين ومسيحيين، حيث جمعتهم قضية (أو قضايا) مشتركة، هي الظلم والاضطهاد والتهميش. كما لاحظوا أن هناك تحالفاً قوياً بين جيش الحركة والكنائس في المنطقة، ممّا يعزّز البعد الديني في هذا السياق. وقد زعم الباحثون الجنوبيون أن هناك حركة تحوّلات كبرى من الدين الإسلامي والأديان

(٢٥) المصدر نفسه.

(٢٦) Nickel, «God Has Not Forgotten Us: Christian Identities and Ethnic Survival in Sudan,» p. 6.

(٢٧) المصدر نفسه، ص ٧.

التقليدية إلى المسيحية، وأن الكنيسة بمختلف مذاهبها توجد بكثافة في المنطقة. لكنهم لم يقدموا إحصائية تثبت هذا الزعم. وجنباً إلى جنب المسيحية، تم إدخال الإنكليزية كلغة تدريس أساسية، بينما يتم تدريس اللغة العربية كمادة فقط.

إذن، النشاط التبشيري، واللغة الإنكليزية، والملاحم الزنجية، والشعور بالتهميش، كلها عوامل أدت إلى بلورة عامل الهوية الذي جعل النوبة أقرب – وجدانياً وعقلياً – إلى الجنوب منها إلى الشمال. وفي تأكيد لأهمية الدين في بناء الهوية المشتركة، يرى الباحثون أن انتشار المسيحية بشكلها التقليدي المحلي (Vernacular Christianity) أدى إلى الانهيار التدريجي للحواجز الثقافية والعنصرية في هذه المناطق (الجنوب وجبال النوبة)، مما أدى إلى توحيد الكثير من هذه الجماعات على أساس ديني، فأصبحت هناك تجربة للهوية على أساس ديني – إثني (Ethnocentric Religious Identity)، لكن يعترف هؤلاء الباحثون أن في المدن الكبرى في الجنوب، خاصة في الإقليم الاستوائي، اعتمدت المراكز الحضرية المتعددة الإثنيات على لغة عربية محلية (عربية جوبا) لتوحيد العبادة بين الإثنيات (Inter-ethnic Worship). وقد استغلت الكنيسة الرومانية اللغة العربية لتسهيل العبادة المؤحدة، وذلك للتغلب على مشكلة تعدد الهويات المسيحية في الجنوب. ويرون أن الدين المسيحي زوّد الناس في الجنوب بالرؤية الاجتماعية والقيم الأخلاقية، وقد ذابت أو اندمجت التقاليد المحلية في الفكر المسيحي الذي هدّد الثقافات العربية والأفريقية المحلية. وعملت المسيحية على تجديد وإعادة توجيه القيم والثقافات هناك، وفي الوقت الحاضر «يقدم مسيحيو السودان تجربة فريدة للكنيسة على مستوى العالم»<sup>(٢٨)</sup>.

تشير الإحصائيات إلى أن الحرب في جنوب السودان راح ضحيتها أكثر من مليوني سوداني، وقلّ ما توجد أسرة في الجنوب لم تفقد أحد أفرادها أو أحد أقاربها، بل إن هناك أسراً لم يبق منها إلا فرد واحد. وترى الإثنولوجيا الجنوبية أنه على الرغم من وجود المكّون الديني للحرب بصورة ثابتة، إلا أن عاملي الإثنية والعنصرية لا يمكن فصلهما عن المكّون الديني، ذلك لأن المعاناة التي تعرّض لها الجنوبيون المسيحيون قد أفرزت رباطاً قوياً بين الإثنية والدين. كذلك هناك اعتقاد سائد بأن الإرساليات المسيحية التي تحالفت مع القوى الاستعمارية شكّلت أدوات للإمبريالية الغربية، وعملت على تدمير المؤسسات المحلية. فقد لعبت الإرساليات والقوى الاستعمارية دوراً في إضعاف السلطة المحلية ونظام القيم السائد، كما أنها أسهمت في عملية الاستقطاب داخل الوطن<sup>(٢٩)</sup>.

لكن هناك من يقول إن البعثات التبشيرية لم تدخل جنوب السودان إلا في بداية القرن العشرين، وإنه لم يكد يصل الجيل الذي تعلّم تحت نظام الإرساليات إلى سنّ الرشد إلا عند استقلال السودان. وبعد مضي عقد واحد من الاستقلال طردت الحكومة الجمعيات

Alex de Waal, «Sudan: Social Engineering, Slavery and War,» *Covert Action Quarterly* (Spring ٢٨) 1997), p. 65.

Nickel, *Ibid.*, p. 9.

(٢٩)

التبشيرية. ومهما يكن من طول أو قصر فترة التعليم الأوروبي – عبر الإرساليات – فإنه ترك أثراً في الجنوب لا يمكن تجاهله على الأقل من خلال تشكيله لطبقة من المتعلمين والتمهيد لظهور نخبة وإنلجنسيا جنوبية، التي – على قلتها – بلورت قضية الإقليم بصورة واضحة في العقود التالية؛ هذا بغض النظر عن الأسلوب العسكري الذي انبثق في الصراع مع الشمال.

كانت أول مغامرة للإرساليات في العصر الحديث في السودان تلك التي قامت بها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في بعثتها إلى وسط أفريقيا في منتصف القرن التاسع عشر، إذ أقامت لها محطات في الجنوب، واستمرت في عملها هذا بصورة منظمّة لأقل من عقد. أما انتشارها في الشمال، فكان محصوراً وسط الشباب الجنوبيين من الذين تم تحريرهم من الرق واستقروا في الشمال. وفي نظر الجنوبيين أن تحررهم تلازم مع اعتناقهم المسيحية، وكأنه تحرر روحي من قوى الشر<sup>(٣٠)</sup>.

ومنذ البداية وإلى اليوم، يعتقد المسيحيون السودانيون أن الكنيسة تشكّل الملاذ والأمن من العدوان، بالمعنى الروحي والمادي. وبالتالي أصبح اعتناق المسيحية صنواً للتحرّر من العبودية، وأصبحت المسيحية تشكّل السلوى والعزاء من ماضي الرق وواقع الاضطهاد والتمهيش. فالمسيحية تعني لهم الأمل والرجاء من الله الذي يحوّل العبودية (Slavery) إلى حرية، والموت إلى بعث (Resurrection). وللدين المسيحي بعد ثقافي واجتماعي واضح عند الجنوبيين. فالترانيم والموسيقى في الكنيسة أعطت مساحة وصوتاً للمفاهيم اللاهوتية المحلية، وأصبحت تشكل إطاراً حيويّاً للتضامن والابتكار. كما أن استخدام اللغات المحلية أدى إلى تعزيز الصلة بين الإثنية والهوية المسيحية. وقد تكاملت الطقوس الدينية والترانيم الكنسية مع الأدب والفنون الأفريقية المحلية للجنوبيين، فوجدت طريقها إلى وجدانهم لتشكّل هوية جديدة أساسها الإثنية الأفريقية والمسيحية. ويرى الباحثون الجنوبيون أنه على عكس ما كان يتوقع، فإن الكنائس سعت في السودان ما بعد الاستعمار إلى حماية الهويات الإثنية الأفريقية أكثر من قمعها<sup>(٣١)</sup>.

الملاحظ أن الشباب الذين نزحوا إلى الشمال في الستينيات من القرن العشرين، عندما اشتدت الحرب في الجنوب، وجدوا الكنيسة ملاذاً لهم، إذ قدمت لهم التعليم، وكانت بمثابة أندية تجمعهم وتحمي هويتهم، وكأنهم أقليات وافدة. وبذلك لعبت الكنيسة دوراً رئيسياً في تعزيز الهوية الجنوبية بصورة منفصلة عن الهوية الشمالية.

تعتقد الإنلجنسيا الجنوبية أن سياسة «فرّق تسد» لتي لها تاريخ طويل في السودان، والتي استخدمها الأوروبيون والعرب على حد سواء لتدمير المجتمعات الجنوبية وكسر مقاومتها، قد استخدمتها أيضاً حكومة الجبهة الإسلامية القومية بصورة أكثر تنظيمياً وأشد قسوة مسّت كل مستويات النظام الاجتماعي. لقد شكّلت حكومة الجبهة الإسلامية مليشيات

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٩.

(٣١) المصدر نفسه، ص ١٠.

مسلحة أحدثت بها الانقسام وسط الجنوبيين، ونشرت بينهم السلاح والفتنة. وقد وجدت هذه السياسات التربية الخصبية في المجتمع الجنوبي المنقسم أصلاً بالعصبية العرقية (Ethnocentrism)<sup>(٢٢)</sup>. ويرى البعض أن الجبهة الإسلامية تمارس التكتيكات نفسها في جبال النوبة، مثل التطهير العرقي (Ethnic Cleansing)، وتفكيك الأسرة بعزل الزوج عن زوجته، وكذلك الأبناء، وإضعاف الترابط الديني والأسري والعشائري (Inter-clan)، والقبلي (Inter-tribal)، تمهيداً لتدمير التماسك الاجتماعي (Social Cohesion) وتذويب الهوية<sup>(٢٣)</sup>.

كذلك، ما زال العقل والوجدان الجنوبي مشحوناً بمرارات الماضي. فبين الحين والآخر يرّد الجنوبيون قصص تحطيم الكنائس منذ الستينيات من القرن العشرين، ويقولون إنه حتى في الخرطوم «تمت مصادرة الكثير من المباني الكنسية وتحويلها لصالح الجبهة الإسلامية. ولم تسلم حتى الكنائس المشيدة بمواد محلية في أطراف العاصمة ومعسكرات النازحين»<sup>(٢٤)</sup>.

ترى النخبة الجنوبية في الاعتداء على الكنائس اعتداءً على التماسك والنظام الاجتماعي والتربية الدينية. وعلى الرغم من هذه «الاعتداءات» ظلّ المجتمع الديني الجنوبي (المسيحي) في السودان يعيد بناء نفسه. كذلك يشير الباحثون إلى قصص الاختطاف والاعتقال والتعذيب والقتل التي يتعرض لها القساوسة وغيرهم من الزعامات الدينية في الشمال والجنوب. ويرون أن هذا الكبت والقمع لم يزد القيادات الدينية المسيحية إلا عزيمة وإصراراً على تكثيف التزامهم الديني، وفضّلوا التضحية بأرواحهم من أجل الدين. كل ذلك كان في مختلف الحكومات المتعاقبة منذ الاستقلال، غير أن نظام الجبهة الإسلامية القومية هو الأشد بطشاً وتنكيلاً. ويشير هؤلاء إلى عمليات الخطف الجماعي (Wholesale Abduction)، وفرض الأسلمة بالقوة، وكذلك إرغام الأطفال على الانخراط في الخدمة العسكرية، حيث يتم القبض على الأطفال في الجنوب وشوارع مدن الشمال لاستخدامهم – بعد فترة «تطهير ثقافي» – كمجاهدين ضد أهلهم. وهذا اعتداء، ليس على الجيل الحالي، بل على مجمل النسيج الإنساني في المستقبل<sup>(٢٥)</sup>.

أما حكومة الإنقاذ (أو الجبهة الإسلامية القومية)، فقد كانت تنفي باستمرار هذا التهم وتصفها بأنها إدعاءات لا أساس لها من الصحة، وتقدم الكثير من الأمثلة التي تفيد بأنها تعزّز التعايش السلمي، وقد أشار المبحث السابق إلى هذه الأمثلة. ويبدو أن اختلاف الأديان لا يشكل مشكلة بين السودانيين، غير أن تسييس الدين هو الذي يفجّر المشكلات والتوترات بين الطرفين، ويعمل على توليد الحساسيات وتعقيد المشكلة، بل وتدويلها.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ١١ و٢٤.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٢٤) Robert O. Collins, «Africans, Arabs and Islamists: From the Conference Tables to the Battlefields in the Sudan,» paper presented at: The Fourth Triennial Meeting of the International Sudanese Studies Association, 12-14 June 1997.

Beshir, *The Southern Sudan: Background to Conflict*, p. 51.

(٢٥)

من الناحية الأخرى، يتهم الجنوبيون الجبهة الإسلامية القومية بأنها تفسر الدين تفسيراً ضيقاً. فهم يرون أن الجبهة الإسلامية القومية قد حوّلت الحوار الديني إلى قمع سياسي وعسكري، وأن هذا المسلك عزّز تمحور الهوية الجنوبية حول الدين المسيحي، وهي العملية التي بدأت منذ أكثر من قرن، بل إن كثيراً من الجنوبيين يعتقدون في شرعية دينهم وأسبقيته على الإسلام في السودان، مشيرين إلى وجوده وتواصله منذ قبل الإسلام متمثلاً في مملكة النوبة المسيحية، وأن المسيحية بدأت تزدهر في السودان منذ القرن السادس الميلادي، وأن المسيحية اليوم في السودان بالنسبة إليهم هي إعادة إحياء لهذا التراث الديني القديم. وبهذا، فإن الثقافة والدين – في نظرهم – هما نسيج واحد، وقد أسسا بذلك لقاعدة صلبة للهوية الإثنية والثقافية. وقد ظهرت الكنيسة في القرن العشرين كعامل توحيد قوي بين الطبقة الجنوبية المتعلمة، وتبني قاعدة أخلاقية صلبة للمستقبل<sup>(٣٦)</sup>.

ومن جانب ديني وأيديولوجي، يبدو أن التصوّرات التي تحملها العقلية السياسية للنخبة الجنوبية قد تأسست على أن الحكومة المركزية في الشمال، بتوجّها الإسلامي، تسعى إلى إقامة مجتمع إسلامي توحيدي متجانس (Monolithic and Homogeneous Society)<sup>(٣٧)</sup>

وهكذا أضحت الدين يشكل أحد مرتكزات الهوية للجنوبيين. وقد دخل الدين كعنصر أساسي في الصراع بين الجنوب والشمال، خاصة منذ بداية التسعينيات عندما لجأت حكومة الإنقاذ إلى بعث روح الجهاد لمواجهة التمرد الجنوبي. كان تفسير الجنوبيين لذلك على أنه تسييس للدين، بينما في واقع الأمر – وكما جاء في سياق هذا المقال – فإن الدين أصبح للجنوبيين، ليس عاملاً سياسياً في الصراع، بل تمحورت حوله هويتهم، مما يشير إلى أن الصراع أخذ بعداً جديداً، هو صراع هويات بين الطرفين.

لكن البحث يوحي بأن تترك النخبة السياسية، في الجنوب والشمال، العامل الديني لميكانيزمات المجتمع السوداني المتسامح. فليس هناك ما يثبت أن المسيحيين سعوا يوماً إلى إجبار المسلمين على التحول إلى المسيحية أو العكس. كما أن الدين الإسلامي، وعبر القرون، انتشر بالطرق السلمية – بالقدوة والثقافة والقيم الأخلاقية – عن طريق العرب الرحّل وحركة العلماء التجار والطرق الصوفية، أكثر وأسرع مما انتشر بالفترات ■

Robert O. Collins, *The Southern Sudan 1883-1898: A Struggle for Control* (New Haven, CT: Yale University Press, 1962), p. 13.

(٣٧) انظر مقابلة مع أليو أيانج أليو (وزير الدولة بالداخلية السودانية)، نشرت في: *الرأي العام* (الخرطوم)، ١٠/٤/٢٠٠٦.